بعض العوامل المفسرة لشدة المقاومة المسارية بالمغرب
ضد الغزو الاستعماري ما بين 1912 . 1927

الباحث ابراهيم بل العافية
أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان
المغرب

مقدمة

سعت سلطات الحماية الفرنسية بعد توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912، بكل جهد إلى ضرب السيادة المغربية وتحطيم الروح والشخصية المغربية الأبية، التي كانت تفتخر بحريتها وكرامتها. باستخدام قواتها الاستعمارية الهائلة التي مكنتها من فتح أفق واسع للتوسع والسيطرة، وضرب المقاومة المغربية التي انبرت للدفاع عن أرضها. ومن بين هذه المقاومات، تألقت مقاومة قبيلة بني مسارة التي بفضل قوتها وجهود قادتها وتعاونها مع حركة المقاومات المغربية الأخرى، تمكنت من تعطيل المشروع الاستعماري في منطقة وزان لمدة طويلة، وكبدت الغزاة خسائر فادحة.

لقد واجهت القوات الغازية مقاومة عنيفة في قبيلة بني مسارة ومنطقة وزان بشكل عام، بقيادة رجال أبطال صناديد، الذين تصدوا بشجاعة للاحتلال بمقاومة ما فتئت تزداد عنفا وتشتد ضراوة، أذهلت جهابذة الاستعمار الذين وقفوا مشدوهين أمام قوة قبلية بسيطة، عدد أفرادها قليل، وغير مدربين، وأسلحتهم متواضعة... والدليل على ذلك الملاحم الرائعة والمعارك العديدة التي دارت رحاها فوق تراب القبيلة، أو ما يجاورها من القبائل المجاورة، ويرجع كل ذلك إلى تضافر عدة عوامل مساعدة من أهمها:

1 . النزوع إلى الاستقلال الذاتي ورفض الخضوع لأي سلطة (العيش الطويل في حياة "السيبة").

أرجع العديد من القادة الفرنسيين الذين اشتغلوا أيام الغزو بقبيلة بني مسارة صمودها أمام الضربات العسكرية المتوالية والمحاولات الحثيثة للقضاء على مقاومتها إلى "كراهية بني مسارة لكل ما هو منظم وسلطة"[1]. في الواقع، حافظت قبيلة بني مسارة عبر تاريخها على حرية مبادرتها وعلى الابتعاد عن أي سلطة مهما كانت، مما جعل المساري يرفضون الخضوع لأي قوة أو غزو مهما كان. حتى عندما يخضعون، فإنهم لا يستسلمون إلا بعد استنفاذ كل سبل المقاومة والصمود، فعقلية المساري لا تقبل الخضوع ولها نزوع فطري نحو إعداد المقاومة وتحضير كل ما من شأنه أن يعرقل عمل المحتل أو يحبط مشاريعه[2].

لم يقبل أبناء المنطقة أبدا بالوجود الروماني في المغرب، حيث كانت بلادهم تقع على حدود المنطقة الرومانية، وقد اضطر هؤلاء إلى حماية ممتلكاتهم في سهل الغرب ودرء خطر هجماتها المتكررة ببناء القلاع والحصون، ومن أبرزها حصن جبل حجر بني عيش الواقع في بني مسارة السفلى... كما أن المساريين لم يخضعوا للسلاطين المغاربة ولا للأسر التي تعاقبت على حكم المغرب إلا لماما، فإذا استثنينا المرابطين الذين يشتركون معهم في نفس العصبية (الصنهاجية)، فإن بني مسارة جاهرت الموحدين بالعصيان، وشاركت في الثورة العارمة التي اندلعت ضدهم في منطقة غمارة، ولم يتم حسم مادة عصيانهم هذا إلا بترحيل القبيلة وتهجيرها من موطنها الأصلي إلى بلاد سوس. يمكن القول إن هذه المحاولة كانت أشهر عملية مخزنة حقيقية لقبيلة بني مسارة، لكنها كانت قسرية وعنيفة وقاسية.

وقد أثر الترحيل الموحدي بشكل كبير على بني مسارة، حيث تعرضت القبيلة لنزيف ديمغرافي شديد، ولم يبق من سكانها الأصليين سوى القليل، وهم المعروفون بأهل الباقية. هذا الوضع أدى إلى جذب عناصر بشرية جديدة إلى القبيلة، مثل الزناتيين والعرب. وسمح هذا التوافد البشري الجديد مع مرور الوقت بزيادة القوة الديمغرافية للقبيلة، وساهم أيضا في عودتها إلى مسرح الأحداث مجددا في المنطقة أيام السعديين، خاصة في الصراع القبلي مع جيرانها من القبائل.

في عهد العلويين، وتحديدا في عهد المولى إسماعيل، خاضت بني مسارة تجربة فريدة مع هذا السلطان الذي كان مشروعه السياسي يقوم على توحيد البلاد ومخزنة كل المناطق بما فيها القبائل الجبلية المعروفة ب "بلاد السيبة"[3]، شن هذا السلطان حربا ضروسا على بني مسارة التي ناصرت عدوه اللدود في الشمال الخضر غيلان[4]، ولم يدفع القبيلة إلى الطاعة والإذعان إلا بعد قتله لأكثر من 1500 فرد من أفرادها[5]، وتسليم ما كانت تملكه من عبيد، والمصالحة بالقوة مع جيرانها من القبائل بعد أن وضع حدودا بينهم لازالت معروفة حتى اليوم. ومع ذلك، فإن هذه الصرامة الشديدة في الإخضاع التي اعتمدت على القسوة والقوة المفرطة تلاشت بسرعة مع اندلاع أزمة الثلاثين سنة عقب وفاة المولى إسماعيل سنة 1727م. إذ عادت بني مسارة إلى نشاطها المعهود، ب"السيبة" على جيرانها والتمرد على المخزن.

لحسم هذه المسألة، لجأ السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى سياسة مغايرة تماما عن سياسة جده، حيث قام بتجنب العمل العسكري والاعتماد بدلا من ذلك على أطراف جديدة لتهدئة الأوضاع، وخاصة الزوايا والأشراف، وبالأخص الشرفاء الوزانيين الذين باتوا يلعبون دورا كبيرا بفضل إشعاعهم الروحي في تهدئة القبائل وحراستها في منطقة الشمال. وصلت الأمور إلى درجة جعلت السلطان يعين الشريف سيدي علي بن أحمد الوزاني خليفة له في منطقة الشمال، وقد خاطب السلطان سيدي محمد بن عبد الله شريف وزان بشأن بني مسارة بقوله:" حل بيني وبين بني مستارة فإنهم اشتغلوا بقطع الطريق"[6].

يمكن تفسير سبب لجوء هذا السلطان إلى هذه السياسة المغايرة عن سياسة جده بالاقتصار على تهدئة بلاد المخزن والاستغناء كليا عن بلاد السيبة. ذلك يعود إلى استراتيجية السلطان في تعويض الجبايات المستخلصة من القبائل الجبلية بنهج سياسة الانفتاح على الخارج التي أمدته بمداخيل جبائية خارجية[7]، وأغنت خزينته ومنعت احتكاكه مع قبائل السيبة الشرسة، بما في ذلك بني مسارة التي واصلت مشاكستها للمخزن وعدم الانضباط له.

في عهد السلطان المولى سليمان، انغمست بني مسارة في الصراع السياسي الذي دار حول أحقية العرش، سايرت شرفاء وزان في مبايعتهم لمولاي مسلمة، وحتى بعد انضباط أمور المغرب لمولاي سليمان، ظلت بني مسارة خارج سلطة الدولة، رغم محاولة هذا السلطان تغيير القواد المحليين من أبناء القبيلة الذين اعتمد عليهم والده في إدارة شؤونها، وتعيين خاله الطاهر بن الحفيان قائدا عليها.

أما السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، فاعتمد في إدارة القبائل بالمغرب على القواد المحليين، حيث أعطاهم حق ممارسة سلطتهم المطلقة وأرخى لهم العنان والثقة بهم. هذا النهج أدى إلى ظهور التجاوزات من جديد في حق القبائل[8]. ومن بين القبائل التي تأثرت بهذا النظام كانت بني مسارة، حيث عين عليها سنة 1842 القائد محمد بن محمد القيسي، الذي كان ظالما وقاسيا ومارس القسوة على الناس. ثارت القبيلة عليه وعادت إلى ممارساتها السابقة بنشر الفوضى و"السيبة" في منطقة وزان. هذا الأمر دفع السلطان إلى سجن القائد وتعيين قواد جدد بدلا عنه ومتابعة أعمالهم ومراقبتهم. كما قام بمعاقبة العتاة من أبناء القبيلة وسجنهم في سجن العرائش. وقد اتبع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان نفس السياسة التي نهجها والده، ولم يكن يجد حرجا في عزل العمال والقواد إذا كثرت فيهم الأقاويل والتجاوزات في حق قبائلهم[9].

في عهد المولى الحسن الأول، أطلقت بني مسارة العنان لنفسها بالتمرد على المخزن بطرد قواده، وب"السيبة" على باقي الأطراف، مثل الهجوم على شرفاء وزان وعلى عزائبهم بالغرب واللوكوس، وعلى القبائل المجاورة بالإغارة عليها والاقتتال معها. وبالرغم مما بذله هذا السلطان لحسم سطوة القبيلة وسيبتها، من خلال تسريح الحملات العسكرية، وتعيين قائد مخزني من خارجها، وإجراء تقسيم إداري جديد سنة 1888م بإنشاء قيادتين، قيادة في بني مسارة السفلى وقيادة في بني مسارة العليا، وتعيين قواد محليين ومراقبة أعمالهم، إلا أن هذا النهج لم ينجح في تجنب الاصطدام المباشر مع القبيلة التي ظلت رغم كل المحاولات المخزنية اللاحقة، عصية على التطويع، عاشقة للاستقلال الذاتي، ومجبولة على النفور من الخضوع لأي سلطة، حتى لو كانت مغربية ووطنية، فما بالك بسلطة غاز... وهذا ما يفسر المقاومة الشرسة والعصية التي واجهت قوات الغزو الفرنسي في بني مسارة ومنطقة وزان. والسؤال المطروح، ما هو السبب وراء هذا النزوع الاستقلالي المفرط لبني مسارة؟

يعزو الجنرال بوميروا قائد الحملة الفرنسية الثانية على منطقة وزان في ربيع 1921 صلابة وقوة مقاومة بني مسارة لقواته في عمليات أبريل سنة 1921 إلى كثرة عدد المقاومين في صفوف بني مسارة وإلى صعوبة المراس ومناعة أراضيها الجبلية التي وفرت للمقاومين الحماية والإحساس بالأمن، إضافة إلى إمكانية المناورة ضد زحف قوات الفرنسيين التي لا قبل لهم بمقابلتها وجها لوجه. يقول المارشال ليوطي في هذا الصدد:" في وجه عدو كثير العدد، صعب المراس، متسلح في أرضين لا أصلح منها للدفاع، إذ هي كلها حصون وخنادق طبيعية، فخاضت الجيوش معه في معارك شديدة"[10].

كما يرجع هذا النزوع نحو الاستقلال بالنسبة للقبائل الجبلية إلى عزة النفس التي اكتسبوها من طبيعة بلادهم الجبلية التي جعلتهم يتمتعون بحالة انطواء على النفس ودفاع طبيعي عن الوجود ضد الغير أي تدخل غير مرغوب فيه[11]. كما أن الطبيعة الجبلية الصعبة وما يتطلبه العيش بها من تحد للتضاريس الوعرة والمناخ القاسي، كانت لها تأثير واضح في إكسابهم القوة والصلابة والإحساس بالتفوق على آخرين والإغارة عليهم، كما كان يحصل مع سكان مدينة وزان أو ساكنة الغرب، أو ضد أي مهاجم أو غاز، كما كان يقع مع المخزن أو الفرنسيين. يقول موليراس في هذا الشأن:" إن العيب الأساس لبني مسارة هو التكبر،... وهم يفتخرون بشجاعتهم، ولعل الزوايا العديدة لديهم والمخصوصة لمجي الرماية، دليل على تحمسهم للقتال"[12].

2 . انتشار فكرة الجهاد ضد الأعداء

إن انتشار فكرة الجهاد ضد الغزاة المحتلين وتجذرها بين أوساط الناس من العوامل الحاسمة في شدة المقاومة والصمود، كان يؤججها الفقهاء والعلماء الذين كان لهم تأثير قوي ومباشر على الناس، حيث كانوا يشجعون على الجهاد والدفاع عن حرمة الدين والوطن.

قبل الاسترسال في هذا الموضوع، يتوجب علينا فهم العداء الاستعماري لهذه القبيلة الأبية، على أنه لم يكن وليد صدفة، بل كان نتيجة طبيعية للدور الكبير لأبنائها في مناهضة المشروع الإمبريالي، بما في ذلك الضغوط الأوربية خلال القرن التاسع عشر. وتجلى ذلك في:

. المشاركة في حرب تطوان إلى جانب باقي المغاربة ضد الغزو الإسباني في الفترة بين 1859.1860 حيث أكدت على الطابع الجهادي للمساريين للدفاع عن حرمة الدين وحوزة الوطن"[13].

. محاربة الحماية القنصلية والمحميين بالمنطقة، باعتبارها أداة أساسية للأوربيين للتغلغل داخل المجتمع المغربي وتلغيمه، إذ كانت تهجم على ممتلكاتهم بالمنطقة في الغرب واللوكوس، فالمحميون امتلكوا عقارات ضخمة وحصلوا على امتيازات مهمة، سخروها لصالح المستعمر وخاصة المخالطين، فهجوم القبيلة على ممتلكات المحميين كان هجوما على أحد ركائز التغلغل الاستعماري بالمنطقة[14].

3 . دور العلماء والفقهاء

لقد دعا هؤلاء إلى الجهاد من خلال الفتاوي المحرمة للتعامل مع المستعمر، بالإضافة إلى دورهم في التدريس والإفتاء والقضاء. لقد كان لهم دور إيجابي في مقاومة المستعمر وتحريض الناس عليه، وانتهزوا كل الفرص والوسائل من أجل القيام بهذه المهمة التاريخية. فمن خلال التدريس في المساجد، خَرَّجُوا طلبة مجاهدين ومحاربين ودعاة ضد العدو. كانوا يلتقون بالناس في المساجد والأسواق والمواسم الدينية، ويحثونهم على الجهاد والبذل والتضحية والاتحاد فيما بينهم، لتشكيل لحمة واحدة وقوة قادرة على مناهضة المحتل. ولإنجاح مهمتهم كانوا يبشرون الناس ويشيعون بينهم أن " من أراد أن تغفر ذنوبه وتمحى سيئاته ويدخل الجنة بغير حساب فليحارب الاستعمار"[15]. ومن أبرز الفقهاء الذين لعبوا دورا إيجابيا في هذا الشأن:

. الفقيه الطيب الزواقي من قرية الزواقين، يقول عنه البكاري:" خصص الفقيه دروسا للجهاد في سبيل الدفاع عن البلاد، وإعلاء كلمة الله، وكان ذلك أثناء الغزو الفرنسي والإسباني للمنطقة، وبذلك شارك رحمه الله مشاركة فعالة في كل المعارك التي دارت رحاها على تراب المنطقة، نظريا وعمليا. وكان من المشاركين فعلا في حرب الريف التحريرية التي دار جزء منها على منطقة الريف الغربية . زومي"[16].

. الفقيه محمد بن العربي البقالي الذي كان لأفكاره دور أساسي في التحريض على الجهاد والتضحية. ولذلك تعرض لمضايقات كبيرة والإهانة من طرف حكام زومي الاستعماريين الذين منعوه من التدريس وإعطاء الدروس مرارا[17].

. المجذوب المجاهد السيد أحمد السكاري، يقول عنه البكاري:" كان يحث الناس على الجهاد وينادي في رجال قبيلة بني مسارة حي على الجهاد"[18].

يضاف إلى هؤلاء بعض رجال الزوايا كشيوخ الزاوية الهاشمية الدالحية، الذين ساهموا في دعم الجهاد الميداني والعملي، ومدوا المجاهدين بالمال والعتاد، بل أشرفوا بأنفسهم وأفراد عائلاتهم في المقاومة في مدشر اسفالوا. وتصدوا بشجاعة للاحتلال في وقائع ايسوال الشهيرة، حيث دمرت زاويتهم وتشتت شرفاؤهم وأتباعهم، ومازال الكثير من سكان بني مسارة، خاصة من كبار السن، والشهود على الأحداث، يتذكرون دورهم في تشجيع الجهاد وإسهامهم الكبير في هذا المجال[19].

وإلى جانب الدور الدعائي والتحريضي، انخرط عدد كبير من الفقهاء في أعمال الجهاد والمشاركة الميدانية الفعالة في كثير من ملاحم المقاومة منذ البداية في معركة السيلة وعين الدفالي عام 1915م، ومعارك ايسوال في الفترة ما بين 1920. 1927م، ومن أهم هؤلاء:

. السيد عبد السلام الوكراري الجنوني: استشهد سنة 1915م في مواجهة مع القوات الغازية بالسيلة وعين الدفالي[20].

. السيد علي البقالي: مات شهيدا في شهر محرم عام 1340هـ[21]. في معارك عين الدفالي.

كما قام الفقهاء بدعم المقاومة ماديا عن طريق جمع الزكاة والأعشار سواء للمقاومة المحلية أو للثورة الريفية، ومن أبرزهم الفقيه السيد عبد السلام العبودي[22]. ونظرا لهذا الدور الإيجابي، بدأت السلطات الاستعمارية في تدبير المؤامرات للتخلص منهم، ومن دورهم الدعوي للجهاد والمقاومة. فقد تم طرد البعض من القبيلة، حيث هاجر عدد كبير منهم مثل السيد أحمد بن العربي[23]. وشهدت الفترة أيضا عمليات قتل واغتيال أثناء القصف مثلما حدث للسيد علال بن المفضل[24]، والسيد الفقيه العربي بوهالة من دوار القيطون[25]. كما تم إقفال المساجد وتشغيل بعض فقهائها في المناصب، كالقضاء مثلا بهدف إبعادهم عن المساجد والناس، مثلما

حدث مع القاضي الطيب الزواقي[26]، وكذلك تعرض بعض الفقهاء للإقالة والمنع من التدريس كما حدث مع محمد بن العربي البقالي[27].

4 . بروز زعماء للمقاومة.

كانت مقاومة المساريين وقبائل المنطقة شعبية بامتياز وعنيفة، وهي بذلك لم تكن من صنع شخص بعينه، فالجماهير العريضة والكتل الشعبية القروية هي صانعة الأحداث[28]، ولم يكن ظهور القادة إلا تجسيدا لهذه الإرادة الشعبية. لقد كان رجال بني مسارة والقبائل المجاورة أبطالا أشاوس تصدوا للمشروع الاستعماري وعطلوه، لكن هذه البطولات لا يمكن أن تتحقق لولا وجود قادة وزعماء كبار، تميزوا بالحنكة والشجاعة والإقدام والمهارة في قيادة العمليات العسكرية، وإفشال مخططات العدو الغاشم، ومن أبرزهم:

أ . القائد قاسم بن صالح زعيم مقاومة بني مسارة

بعد تمكن الفرنسيين من السيطرة على سهل الغرب، بدأت جل القبائل الجبلية في منطقة وزان تشعر بالخطر الداهم الذي يشكله هذا المعطى الذي يهدد مجالهم المحاذي بشكل مباشر. فانتشرت دعوات للجهاد والمقاومة في كل ربوع المنطقة. وفي غمرة ذلك صعد نجم القائد قاسم بن صالح إلى زعامة مقاومة قبيلة بني مسارة ومنطقة وزان، بفضل شخصيته القوية وحنكته السياسية واتصالاته الممتازة مع زعماء المقاومة في المناطق الأخرى، بالإضافة إلى علاقاته مع النمسا وألمانيا وتركيا.

وقد أقر الفرنسيون بحنكته في إدارة المعارك التي اكتسبها بلا شك مع مرور الوقت. وعلى الرغم من سطوع نجمه بشكل فجائي من رحم المجتمع المساري البدوي ليتصدر حركة المقاومة بمنطقة وزان، إلا أن هناك نقطا عديدة غامضة في حياته استعصى الكشف عنها بسهولة. وقد لفت انتباه الفرنسيين إليه منذ أن وطئت أقدامهم منطقة الغرب؛ حيث قاموا بمتابعة حياته وتحركاته بشكل دقيق منذ بروزه على مسرح الأحداث. فحسب المصادر الفرنسية، ولد قاسم بن صالح في فرقة حجر بني عيش ببني مسارة السفلى، وفيها كان منزله وولد فيها أبناءه. بينما حدد البكاري مولده ومقر أسرته في دوار الكعلال بفرقة بني كلة من بني مسارة السفلى[29].

غير أن الراجح هو ما كشفه الفرنسيون. لأنهم كانوا يتتبعون حركاته وسكناته بشكل دقيق وجلي في فرقته حجر بني عيش. كان يتسم في معاركه بالحنكة والشجاعة والإقدام. وهذه الصفات أدهشت الفرنسيين وأثّرت فيهم بشكل كبير. تلك السمات جعلته يحظى بالاحترام المحلي والإعجاب الفرنسي، مما جعله قائدًا فذًا في ميدان المقاومة. وهذا ما يؤكده قول الشاعر:

كَيتكَيَّ بِالصَّاد والقَّاف مَكانشِي كَيخَاف كَان مَعرُوف بِالرَّجلة بِزَّاف نِعم البُطولَة[30].

تزعم المقاومة المسارية منذ البداية. وكان من القادة البارزين الذين تصدوا للقوات الغازية منذ أن وطئت أقدامها أراضي الغرب ابتداء من سنة 1913، حيث تعامل بحزم وشجاعة مع اقتراب تلك القوات من أراضي بني مسارة سنة 1914م. ولم يتوانَ المقاومون عن مواجهة القوات الاستعمارية أيضا عندما حاولت دخول مدينة وزان في عام 1920م. وقد شهدت المنطقة تحت قيادته معارك عنيفة بما في ذلك معارك إيسوال الشهيرة حتى عام 1923م.

غير أن مصير قاسم بن صالح يبقى غامضا في ظل غياب المادة المصدرية لدينا، هل استشهد في المعارك؟ هل قبض عليه؟ هل استسلم للفرنسيين؟ للأسف لم نعثر على طائل. لأن المعلومات المتاحة لدينا تبقى محدودة وغير واضحة بشكل كامل. بالنسبة للفرنسيين كان آخر حديث عن مقاومته حسب ما توفر لدينا من مراجع تعود إلى سنة 1923 في جبل ايسوال[31]. وبعد هذا

التاريخ لم يعودوا يذكرونه في تقاريرهم. وهذا في نظرنا دليل على نهاية قيادته للمقاومة. ورغم الغموض الذي يحيط بنهاية قاسم بن صالح، يظل إرثه الكبير ودوره البارز في مقاومة الاحتلال جزءا مهما من تاريخ المنطقة.

ب . القائد ولد الحاج العربي القيطوني (بالحاج الزروالي)

هو من قادة السيبة في قبيلة بني مسارة، كان من أعيان القبيلة وكبرائها، ويعود أصله إلى قبيلة بني زروال، حيث هاجرت أسرته إلى بني مسارة واستقرت في دوار القيطون، ولازالت الحومة التي استقروا فيها تسمى اليوم بحومة زراولة. كان شجاعا ومقداما، وكان يقود القبيلة في حملات الإغارة على القبائل الأخرى أيام "السيبة"، حيث كان مكلفا بحمل العلم[32]، وهذه مهمة خطيرة تجعله دائما في مرمى ضربات العدو، وهو ما حصل في إحدى هجمات القبيلة على قبيلة بني زروال، حيث كانت بني مسارة عازمة على تصفية رجال بني زروال في سوق بوبعان، ولولا إصابة هذا القائد لوقعت المجزرة.

بعد دخول الاستعمار، شارك في مختلف هجمات القبيلة ضد القوات الاستعمارية في عين الدفالي وقبيلة مصمودة. وفي الهجوم الذي وقع على مركز بني وال في شتنبر سنة 1918، حيث أشاع الفرنسيون بأنه قتل، لكن الخبر لم يكن دقيقا، لأنه أصيب في يده فقط، وهذا ما سجله شاعر القبيلة المعروف بالقابري في حقه:

بل الحاج وعَوْدُوا جاتُوا غِ فيَدُوا وفَرْنْسِيس الله يلعن جُدوا لُعنُوه بِقْبالَة.

بسبب نشاطات الريسوني بمنطقة وزان الهادفة لضم قبائلها إلى نفوذه، استغل هذا الأخير مناسبة انعقاد موسم مولاي عبد السلام بن مشيش، ودعا أعيان القبائل إلى الحضور والتحدث معه[33]. وقد أرسلت إليه بني مسارة 14 من أعيانها بقيادة بالحاج العربي القيطوني، وقد استقبل الريسوني هؤلاء المندوبين بحفاوة. خلال الاجتماعات وعد الريسوني بإرسال الأموال والخراطيش، وقبل مغادرة الوفد، قدم لكل واحد منهم مائة خرطوشة[34].

بعد عودة الوفد إلى القبيلة، استجابت بني مسارة لمقترحات الريسوني، وقرر جزء مهم منهم متابعة مقترحاته في انتخاب قائد للقبيلة، حيث وقع اختيارهم على القائد الحربي للقبيلة ولد الحاج العربي القيطوني، الذي حل محل المرحوم سلام الكابوس الذي كان قد عينه الريسوني كقائد من قبله على بني مسارة[35].

بعد تحالف بني مسارة مع ألمانيا وقدوم مندوبها كوهنيل ضيفا على القبيلة، كانت وضعيته في البداية صعبة بسبب انقسام المساريين حول وجوده والتحالف معه[36]. وحدهم أولاد كنون الذين قبل أعيانهم المقترح، ولهذا السبب نقل كوهنيل وقاسم بن صالح حركتهما من فرقة حجر بني عيش إلى موقع الحلويين بفرقة أولاد كنون، حيث انضموا إلى أبرز شخصية في بني مسارة بتعبير الفرنسيين، ويدعى ولد سيدي العربي القيطوني(بل الحاج الزروال)[37] الذي تقوى به كوهنيل للمساعدة في إعداد وتكوين حركة عسكرية[38].

لكن في إحدى المرات وقعت مناقشة حادة بين كوهنيل والقائد ولد الحاج العربي القيطوني، الذي أطلق النار على كوهنيل. وبعد هذا الشجار، هرب كوهنيل من مركز الحلويين والتجأ إلى قبة مولاي عمران شمال بني مسارة. لكن بعد تحسن الأمور، بدأ كوهنيل يتجول بحرية داخل بني مسارة حيث ظهر في الأسواق الرئيسة، وشارك بنفسه في بعض هجمات القبيلة على الخيالة الفرنسيين[39].

بعد هذا الحادث، لم نجد في تقارير الفرنسيين أي حديث عن هذا القائد أو عن أدواره في المعارك التي وقعت بالقبيلة بعد غزو ترابها سنة 1920. لكن عائلة ولد الحاج العربي القيطوني، خاصة حفدته، يؤكدون أنه واصل جهاده ضد الفرنسيين حتى استشهد في معارك دوار الخيص[40] بالسفح الشمالي لبني مسارة العليا، التي انتقلت إليها المعارك بعد سنة 1924.

ج . القائد سلام بن محمد التهامي

يسمونه الفرنسيون في تقاريرهم بسليلم ولد محمد التهامي. برزت شخصية هذا القائد على مسرح الأحداث ببني مسارة سنة 1924. ينتمي إلى دوار اكراينو من فرقة بني قيس وبني يمل المسارية[41]. تمكن من فرض احترامه على الناس وزيادة قوته بالتحالف مع الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي في سنة 1924.

لإثبات سلطته، التزم بتعليمات الخطابي، ومن بينها فرض الهدوء في المنطقة الحدودية مع المناطق الفرنسية حتى لا تنجر الحركة الريفية إلى الدخول في حرب مع الفرنسيين، ولهذا السبب كان يعاقب مثيرو الشغب وبعض الذين يهاجمون المنطقة الخاضعة للفرنسيين[42].

لتثبيت سلطته على أرض الواقع داخل قبيلة ترفض الانضباط لأي سلطة، أنشأ القائد سلام نظاما وعين مقدما في كل قرية، حتى أصبح مجموع المقاومين بالقبيلة تحت قيادته. وأثر ذلك على حركة الاستسلام التي كانت تعرفها القبيلة بعد نجاح الفرنسيين في عملية شتنبر . أكتوبر سنة 1923م، حيث انخفض عدد العائلات التي استسلمت من 77 عائلة في ديسمبر سنة 1923 إلى 23 عائلة في يناير سنة 1924م، وتسعة عائلات خلال شهر فبراير سنة 1924م[43].

كان تعداد المقاومين تحت قيادة سلام بن محمد التهامي 768 مقاوما، معظمهم من

أولاد كنون، ولزيادة تسليح قوته أعطى بندقية واحدة لكل قرية، ثم زادها لاحقا إلى بندقيتين لكل قرية[44]. ومما زاد من شعبية سلام وولد عبد الكريم الخطابي توقف الطيران الفرنسي عن القصف بسبب الطقس السيء، وهذا ما جعل الناس يعزون الفضل إلى الخطابي." وهذا أمر مؤسف لأن المعارضين يعزون كل الفضل في هذا الامتناع عن الضرب من جانبنا إلى ولد سي عبد الكريم"[45].

لإدارة مقاومة القبيلة، كان القائد سلام يفرض على الناس مساهمات في حركات الخطابي بالذخائر والأموال، حيث كان يفرض مقدارا معينا من الرصاص أو المال على كل قرية، وعليها توفيره[46]. بالإضافة إلى تفعيل أعمال التويزة في أراضي المحاربين الذين انشغلوا بالحرب بدل الحرث، حتى لا تبقى أراضيهم بلا حرث أو مزارعهم بلا حصاد، فالكل يجب أن يساهم في المجهود الحربي[47].

وبحكم الانخراط في حركة الخطابي، أصبح عمل القائد سلام وبني مسارة تابعا لحسابات الزعيم الريفي الذي كان يريد توسيع نفوذه في المنطقة، وهذا ما أدى إلى نشوب صراع قوي بينه وبين الريسوني، خاصة في قبيلة بني أحمد. وتفعيلا لأوامر الخطابي، دعم القائد سلام قوات الخطابي بقيادة القائد القويس، الذي فشل في المعركة. كما تعرض القائد سلام إلى فشل آخر في بني زروال، وكانت من نتائج هذه الهزيمة اهتزاز موقفه داخل بني مسارة. فبدأت العديد من الفرق تنتفض من حوله وترفض إرسال مقاتليها لحركته، إضافة إلى تحميله مسؤولية القصف القوي للفرنسيين على الأسواق والدواوير، لأنه كان عاجزا على إلزام بعض المقاومين عن مهاجمة الفرنسيين، ومن تم تجنب رد فعلهم العنيف[48].

لم تكن سلطة سلام على بني مسارة بفضل تأثيره الشخصي، بل كان يستمدها من الخطابي، ولهذا السبب كانت سلطته تتأرجح مع الموقف الريفي بالمنطقة. فإذا كان قويا ترتفع شعبيته، وإذا اعترى عملهم بعض الضعف يتزعزع موقفه ويخفت. وحتى مع ازدياد نفوذ الخطابي، إلا أن القبيلة أصبحت تعارض القائد سلام وتعاكس بعض قراراته، ومن بينها الرفض التام لمطالبته كل فرقة بتوفير ثلاثة ثيران كمساهمة في الحركة الريفية[49].

وقد فسر الفرنسيون هذا الأمر إلى تراجع سمعة سلام الذي خسر بعض نفوذه لصالح مولاي أحمد العروسي الذي أصبح يقود محلة عبد الكريم في المنطقة. إضافة إلى اتهامه بتبديد المعونة التي أرسلها عبد الكريم إلى لاجئي لوطة، الأمر الذي دفعه للعودة إلى دواره (كراينو) حيث بدأ يشجع على ضرب الدواوير الخاضعة للفرنسيين، وعلى استقبال المقاومين الهاربين من بني كلة[50]، وتجميع المقاتلين في حملة مولاي أحمد العروسي[51].

أما على مستوى الزعامة داخل القبيلة، فلاحظ الفرنسيون انطلاقا من الشائعات التي كانت متداولة، أن القائد التهامي ولد عائشة شيخ فرقة بني كلة السابق، قد حل محل القائد سلام ولد محمد التهامي[52]. وبالرغم من تراجع نفوذ القائد سلام، إلا أن دوره الجهادي بقي متقدا وساهم بفعالية في الحرب الريفية ـ الفرنسية. وكان أول قائد مساري يقود بني مسارة في أول معاركها تحت راية الخطابي يوم 15 أبريل 1925م[53]. وكذلك في هزم الفرنسيين في معركة القشاشدة الخالدة سنة 1927، حيث كان يقود فرقة من مقاومي بني مسارة كانت مختبئة في غابة خليعة. وبفضل التنسيق الذي كان بين مجموعته وقادة دوار القشاشدة تمكنوا من جر الجيش الفرنسي الذي كان يتقدم في تراب دوار القشاشدة، ومباغتته في واد لا مخرج له، وإبادته بالكامل حيث قتل عدد كبير من الضباط والجنود الذين كان معظمهم من الجزائر وتونس والمغرب المحتل، وكان على رأس القتلى الرائد بوركينيون[54].

د . القائد التهامي ولد عائشة

أحد القادة المحليين لمقاومة بني مسارة، ينتمي إلى عائلة أولاد الجلايدي المقاومة الساكنة بدوار دار اوريغل بفرقة بني كلة المسارية. كان شيخا لهذه الفرقة ويحظى بكامل الاحترام والتوقير داخلها، سطع نجمه داخل أوساط القبيلة، عندما تصدى لمحاولة الفرنسيين إجبار سكان فرقة بني كلة على الاستسلام، حيث كان يهدد إخوانه باستدعاء المقاومين من بني مسارة العليا لمعاقبتهم إن هم واصلوا اتصالاتهم بالفرنسيين. وقد أثمر هذا التهديد في أوائل مارس سنة 1922، عن وقف بني كلة لاتصالاتها مع الفرنسيين في مكتب سيدي رضوان[55].

بسبب القصف الفرنسي على دواوير الفرقة، لجأ هو وعائلته عند إخوانه في بني مسارة العليا وخاصة في دوار الغويبة. وقد أثمر نشاطه الدعائي المضاد للدعاية الفرنسية لفرض الاستسلام على الناس نجاحا باهرا، طوال سنتين (1922. 1923) وضباط الاستعلامات الفرنسيون كانوا يعملون على هذا الصعيد. وعند عجزهم بدؤوا في الاتصال به عبر وساطة الشريف الدرقاوي ببني زروال بواسطة وكيله علي ولد الحاج علي، أحد أعيان قبيلة بني زروال، الذي حذره من القيام بأي مؤامرة تحت طائلة العقوبات. لكن هذا القائد رفض التهديد، وعاد هو وعائلته إلى دواره دار أوريغل الذي تعرض للقصف علم الفرنسيون بعودته إليه[56].

بعد انخراط القبيلة في حركة الخطابي سنة 1924، على يد القائد سلام الكرايني الذي فشل في إدارة شؤون القبيلة كما رأينا سابقا، نمت شخصية القائد التهامي بشكل لافت بعد ذلك على حساب القائد السابق، وما حضور التهامي ولد عائشة في أجدير لتهنئة الخطابي على انتصاراته الأخيرة على الإسبان والقبض على الريسوني[57]، إلا دليلا على ذلك[58]. شارك بفعالية في المعارك التي اندلعت عقب الهجوم الريفي العام على القوات الفرنسية وعلى مراكزها في ربيع سنة 1925، وكانت تنتظم تحت سلطته قوة حربية مكونة تقريبا من 1000 مقاوم[59]، وكان من ضمن القادة الثلاثة الذين اقتسموا قيادة مقاومة القبيلة بعد استسلام الخطابي سنة 1926. ظل متشبثا بمقاومته حيث شارك في قيادة معظم معارك القبيلة ضد المستعمر، وأصيب إصابة بالغة في معارك قلعة بني مرشود يوم 6 أبريل سنة 1927.[60]

ذ . أحمد الديوان

كان من القادة البارزين لبني مسارة الذين واجهوا القوات الغازية عند دخولها إلى تراب القبيلة، وإبان اندلاع معارك ايسوال من عام 1921 إلى 1927، أصله من دوار الحمرية بايسوال وهو ينتمي إلى عائلة أولاد بوغرة الأبطال حيث قاتل إلى جانب إخوانه الشريف واحميدو وآخرين. كان أحد القادة الذين عينهم الخطابي ببني مسارة لما انضمت إلى حركته، شارك في معركة القشاشدة سنة 1927، وهو الذي أخفى جثة بوركينيون في غابة خليعة بغاية الحفاظ عليها لإجراء عملية تبادل للأسرى[61]. كان من الذين ألقي عليهم القبض سنة 1943م، وحوكم بالمحكمة العسكرية بمكناس بتهم خطيرة نتيجة حيازته لبعض المناشير والجرائد...[62]. توفي في سجن القنيطرة سنة 1944.[63]

ر . العربي بن أحمد الغويبي

كان من القواد المساريين الذين قاتلوا تحت القيادة الريفية بمنطقة الريف الغربية، وكان قائدا للمائة. توفي رحمه الله سنة 1976 ودفن بدوار أزاريف بفرقة مثيوة. ذكر البكاري أنه كان بين يديه رسالة خطية من الزعيم الريفي[64].

بالإضافة إلى هؤلاء القادة، كان هناك قادة آخرون مثل السيد العباسي الريفي، قائد المدفعية الذي قضى على ثكنة ايسوال سنة 1925، لأنه كان يحسن الرماية بهذا السلاح[65]. والقائد محمد بن الطيب كنون وسلام الكابوس، والسيد أحمد المرابط، والسيد محمد بن عبد الله، والسيد أحمد بن الحاج السيد محمد بن المعلم الخيصي[66]. بالإضافة إلى بعض أفراد عائلة أولاد عبو من دوار الزواقين التابع لفرقة أولاد جنون[67] ببني مسارة السفلى.

القشِيلَة دَا الغُربَة يَا المكَابلَة السَّلاَتَة شكُون زَاد الكُوفَة أولاَد عَبُوا بِثْلاثَة[68].

ض . مساهمة المرأة المسارية

كان للمرأة المسارية دور فعال ومؤثر في مقاومة قبيلة بني مسارة إلى جانب أخيها الرجل، حيث شهدت المعارك ودفعت بأبنائها إلى آتونها، وتحملت الكثير من العناء وأبدت المثابرة، ولم تنهزم ولم تنحني من غدر العدو. بل تشبثت بالصبر والمثابرة والتحمل في مواجهة التحديات، فلم تتخلف أبدا عن واجبها في المقاومة. كانت بجانب الرجل في كل المواقف، وشاركت في المعارك، وقدمت الدعم الكامل للمقاومين سواء ماديا كان أو معنويا. فقد قامت بإخفاء المقاومين، ونقل السلاح، وإسعاف المصابين وتضميد جراحهم. وكانت تتسلل إلى مواقع المقاومين في الكهوف والغابات... لتزويدهم بالطعام والماء، ودفع المجاهدين إلى القتال وتشجيعهم على الاستبسال في الحرب، بل منهن من حملن السلاح بأنفسهن. ومن الأمثلة البارزة على ذلك، أن أم عائلة أولاد بوغرة الأبطال الأشاوس كانت تدفعهم إلى القتال في المعارك، وهي وراءهم حاملة لدلو من الحناء، تهدد كل واحد منهم إن فر من المعركة أنها سترشه بالحناء، وهذه سبة ستبقى لصيقة به طول حياته منبوذا داخل مجتمعه، وكانت تضيف قائلة: "أنا ولدتكم لهذا اليوم فلا تخذلوني"[69].

ومن بين النماذج العديدة على قوة المرأة المسارية، كانت زوجة امحمد ولد سلام، أحد أفراد عائلة أولاد بوغرة الأبطال، تترك طفلها الرضيع في الغار، وتذهب إلى زوجها في الجبهة لتزوده بالمؤونة[70]. بعض النساء شاركن في المعارك[71]، وكان بعضهن يخفين مشاعرهن عندما يعلمن باستشهاد أقربائهن في المعارك... ومن بين الطرق التي كانت تستخدمها المرأة لإخفاء مشاعر الحزن والألم عن المقاومين، كانت بعضهن يقومون بإغلاق بيوتهن ووضع رؤوسهن في سلة كبيرة مطلية بالطين، وتعرف محليا ب"الطنة"، وتطلق العنان لحنجرتها بالصراخ، دون البكاء بصوت عال حتى لا تنقص من قيمتهن كنساء قويات، ولكي لا يؤثرن على معنويات المجاهدين[72]. ومنهن من جادت قريحتهن بتخريج الأغاني الحماسية التي تنوه وتشجع على البطولة وتذم الخونة والجبناء، كمثال السيدة خديجة دالقرشية من دوار وكرار[73].

لم تكن المشاركة في المجهود الحربي مقصورة على فئة خاصة من النساء، بل شملت الزوجات والفتيات والعجائز أيضا. عانت المرأة أثناء الغزو وبعده من تدهور الأوضاع الصحية والاقتصادية... بسبب ظروف الغزو والاحتلال. ومع ذلك كانت المرأة على أعلى مستوى المسؤولية ووقفت إلى جانب الرجال لتساندهم وتشجعهم وتضمد جراحهم. بالإضافة إلى ذلك، قامت المرأة باحتضان أسر اللاجئين الذين فروا من مناطقهم واستقروا في مناطق أخرى، سواء خارج القبيلة أو داخلها. وهناك العديد من الأمثلة على ذلك، مثل أسرة جدي من جهة أمي المرحوم محمد بن أحمد القيري وأخته جدتي من جهة أبي صفية بنت أحمد القيري، التي ولدت في منفاها بالتسول في أعلي القبيلة، بعدما فرت عائلتها من دوار وكرار بالقبيلة السفلى، حيث احتضنتهم أسرة هناك، وقدمت لهم كل أشكال الدعم من سكن، وطعام، ووفرت لهم كل ما يلزمهم، وواستهم على بعدهم عن ديارهم، إلى أن عادوا إليها بعد انتهاء المقاومة[74].

وقد تعرضت المرأة المسارية إلى مثل ما تعرض له أخوها الرجل بعد الاستسلام من انتقام العدو بالقتل في الطرقات وإحراق في المداشر، على سبيل المثال، قتلت أم جدتي من جهة أمي في الطريق المؤدي من دوار وكرار إلى ضريح مولاي عبد الكريم على يد جندي فرنسي رصدها بالمنظار من جبل ايسوال. كما قام الفرنسيون بحرق دوار حريشة في جماعة ونانة التابعة لقبيلة بني مزجلدة وقتل كل سكانه رجالا ونساء وأطفالا إلا رجل واحد استطاع الاختباء في واد. في فترة المعارك، كان الرجال يحرصون على إبعاد النساء والأطفال عن جبهة القتال، من خلال نقلهم إلى أماكن آمنة في الغابات أو مغارس الزيتون والتين...[75] ورغم ذلك، كانوا يتعرضون للقصف، وما زالت آثار القصف واضحة حتى اليوم، حيث أشار لنا بذلك كبار السن إلى الجذوع المتضررة في مغارس الزيتون، وهذا ما لاحظناها في دواري وكرار والزواقين، وفي السفح الجنوبي الغربي لجبل حجر بني يعيش... وقد تواصلت مقاومة المرأة المسارية بعد الاحتلال طيلة المدة التي استغرقتها، خاصة خلال مرحلة الكفاح الوطني، حيث كانت تقوم بنقل السلاح وتؤوي الوطنيين، وتوفر لهم المؤونة والطعام... ويمكن تلخيص دور المرأة المسارية في المقاومة والكفاح عموما على النحو التالي

. توفير المؤونة وكل ما يلزم المقاومين من طعام وماء.

. نقل الجرحى من خطوط الجبهة وتقديم العلاج لهم.

. إخفاء المقاومين وتهريب السلاح.

. استضافة اللاجئين وتأمين احتياجاتهم ومساعدتهم في محنتهم.

خاتمة

باختصار، يمكن تلخيص العوامل المؤثرة في شدة المقاومة المسارية ضد الغزو الاستعماري لبلادهم ما بين عامي 1912 و1927 إلى العزيمة والإصرار. حيث أظهر المساريون إصرار قويا على الدفاع عن أرضهم وحريتهم، وكانوا على استعداد للتضحية من أجل الحفاظ على هذه القيم. بالإضافة إلى ذلك، لعب وجود قادة فعالين وشجعان دورا حاسما في تنظيم المقاومة وتحفيز الناس على الصمود والمشاركة فيها. تضاف إلى ذلك قوة الدعم الشعبي، حيث حظيت المقاومة بدعم قوي من قبل السكان المحليين والقبائل الأخرى، الذين انضموا إليها وشجعوها بشكل كبير. كما كان للجغرافية دور مهم في عرقلة عمل قوات الغزو وجعله أكثر صعوبة، خاصة مع خبرة المقاومين المساريين ومعرفتهم بالتضاريس، مما ساعدهم في مقاومة الغزو بفعالية. وبجانب كل ذلك، لعبت المرأة المسارية دورا بارزا في تشجيع المقاومة ودعمها بكل قوة. تجتمع كل هذه العوامل معًا لتشكل مقاومة قوية ومتماسكة ضد الغزو الاستعماري، تعكس إرادة المساريين في الدفاع عن حقوقهم وكرامتهم ضد الظلم والاستعمار.

الهوامش:

[1] - AMG3H949. Sidi Redouane, le 16 mai 1922. **Rapport sur les bénéfices politiques et militaires attendus de la construction des postes Ouled Yacoub et Sidi Bou Tayeb sur l'occupation militaire de Béni Mestara**, du capitaine Suffren chef du bureau des renseignements au colonel commandant le cercle d'Ouezzan, p.1.

[2] - Ibid, p.2.

[3] . الملكي المالكي بن الجيلالي، **ثورة القبائل ضد الاحتلال**، الجزء الأول، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، 2014، صص: 249 . 257.

[4] . الخضر غيلان: هو قائد لحركة الجهاد بالشمال الغربي خاصة بعد وفاة المجاهد العياشي، ضد الوجود الأجنبي بالثغور المحتلة في العرائش وأصيلا وطنجة. لكن نهايته كانت على يد المولى إسماعيل الذي قتله وأنهى إمارته في القصر الكبير سنة 1673م. . الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب 7، الجزء الثالث، 1997، ص: 27.

[5] . عبد الكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة . الرباط، 1992، ص: 157.

[6] . الضعيف الرباطي، **تاريخ الدولة العلوية السعيدة**، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، الجزء الأول، الطبعة الأولى 1988م، ص:353.

[7] . المالكي، م، س، ص: 253.

[8] . مصطفى فنيتر، المخزن وقواد البوادي، **ندوة البوادي المغربية عبر التاريخ**، تنسيق إبراهيم بوطالب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، 1999، ص: 77.

[9] . فنيتر، م، س، ص: 78.

[10] - Lyautey. Rabat, le 20 juin 1921. « Ordre général n°268 au Q.G ». Bulletin officiel n° 457 du 26 Juillet 1921, p.1162.

[11] . المالكي، م، س، ج1، ص: 250.

[12] . موليراس أوجست، **المغرب المجهول**، الجزء الثاني: اكتشاف جبالة، ترجمة وتقديم د.عز الدين الخطابي، 2003. pdf، صص: 422 . 423.

[13] . داوود محمد، **تاريخ تطوان**، المجلد الرابع، المطبعة المهدية، 1964، ص: 146.

[14] . عبد القادر بوراس:" جانب من المقاومة المسلحة بوزان ونواحيها من خلال الوثائق الفرنسية" **ندوة علمية**: دور الزوايا والعلماء والصلحاء في الكفاح والجهاد خلال الحقبة المعاصرة من تاريخ المغرب . المنطقة الشمالية الغربية . نموذجا . وزان 3 يونيو 2006، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير .2007، ص: 48.

[15] . عبد السلام البكاري، **الوجيز في تاريخ وأعلام مسارة وعلاقة وزان وما والاها من قبائل جبالة، دراسة وثائقية تحليلية**، الطبعة الأولى، نونبر 1997، صص: 235 236.

[16] . عبد السلام البكاري، **الإشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة**، الطبعة الأولى 1984 والثانية 2007، ص: 257.

[17] . عبد السلام البكاري وعبد السلام الطاهري، **شعر الفقهاء بمنطقة جبالة**: الفقيه محمد بن العربي المساري"نموذجا"، 2006. ص: 15.

[18] . البكاري، **الوجيز**، م، س، ص: 72.

[19] . محمد بن العربي البقالي، **اللمحة الصالحة في كرامات الشيخ سيدي محمد الحاج ابن دالحة**، دراسة وإنجاز عبد السلام البكاري وعبد السلام الطاهري، الطبعة الأولى 2011، ص: 77.

[20] . البكاري، الوجيز، م، س، ص: 72.

[21]. نفسه، ص: 75.

[22]. البكاري، **الإشارة**، م، س، ط 2، ص: 263.

[23]. نفسه، **الوجيز**، م، س، ص: 76.

[24] . يقول عنه البكاري:" توفي علال بن المفضل شهيدا يوم الأحد قرب اسكي على وادي الحجرة قبيلة مدشر تملة يوم 28رمضان المعظم عام 1344هـ/موافق 11أبريل 1926م، وهو داخل قيطونه وذلك أن طائرة فرنسية هاجمت السوق وأسقطت عليه وابلا من القذائف والقنابل ...فأودت بالكثير من الناس، فكان رحمه الله من جملة من استشهد ذلك اليوم داخل سوق الأحد. البكاري، **الإشارة**، م، س، ط2، ص: 76.

[25]. يقول عنه الجوهري: وكان السيد العربي بوهالة ذاهبا من دارغابة إلى الزواويين الحجرية التي كانت داخلة في سياسة القائد علي بن قاسم الحجري راكبا على فرسه، ووصل لموضع يقال له سيدي بورماض جنوب عين البطم قرب دارغابة جنوبا في طريق دارغابة سيدي قاسم أبقار ولوطا من بني مسارة التحتانية، رأى العدو النصراني الفرنسي بالمجهر القنوط أرسل إليه كورة نارية من مدفعه بقلعة ايسوال، فمات رحمه الله في مكانه مع فرسه، كما قتل قربه محمد استيتو الزاوية من الخرفان، فنقل جثمانه رحمه الله إلى مسجد دارغابة ودفن قبلة منه. كناش الجوهري، ص:6.

[26]. البكاري، **الإشارة**، م، س، ط2، ص: 258.

[27] . نفسه، ص: 268.

[28]. المريني العياشي، **النضال الجبلي**، الجزء الثاني، بدون تاريخ، ص: 21.

[29] . البكاري، **الوجيز**، م، س، ص: 166.

[30] . توجد بالبيت الزجلي بعض الألفاظ الصعبة مثل: كيتكنى بالصاد والقاف: كنيته قاسم بن صالح. مكانشي كيخاف: لم يكن يخاف. الرجلة: الشجاعة والإقدام.

[31] . ابراهيم بل العافية، **قبيلة بني مستارة من السيبة إلى المقاومة**، أطروحة دكتوراه مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي . تطوان . تحت إشراف الدكتور محمد خرشيش والدكتور جمال عاطف، الموسم الجامعي 2022 . 2023، ص: 204.

[32] . مما يؤثر في هذا الصدد، أن امرأة كانت تبكي في سوق سيدي الفرجالي، سألتها امرأة عن سبب بكائها، فأجابتها إن ابني ذهب إلى الحركة. فردت عليها، إن التي عليها أن تبكي هي أم بالحاج الزرواني الذي يحمل العلم ويلتقي بصدره جعاب البنادق، أما ابنك فهو مختبئ في الخنادق.

[33] – AM. RMP, novembre 1917, p.13.

[34] – Ibid, p.14.

[35] – Ibid, janvier 1918, p.4.

[36] – AM. RMP, août 1918, p.18.

[37] – AMG3h108. Rabat, le 20 avril 1918. « L'Action Allemande au Maroc », du résidence générale de la république française au Maroc, p.6.

[38] – Idem.

[39] – AMG3h108. Rabat, le 20 avril 1918. « L'Action Allemande au Maroc », du résidence générale de la république française au Maroc, p.7.

[40] . روى لنا هذه القصة أحد حفدته، ويدعى قاسم الدويلحي، خياط، يقطن حاليا بمدينة القنيطرة.

[41] . البكاري، **الإشارة**، م، س، ط2، ص:91.

[42] – AM. RMP, mai 1924, p.5.

[43] –AM. RMP, février 1924, pp.6-7.

[44] . نشير هنا إلى أن كل مقاوم كان يملك سلاحه الشخصي، وما فعله سليلم هو زيادة عددهم بمنح بنادق لمن لا يملكها أو تعويض المقاوم بسلاح افضل منه.

[45] – AM. RMP, février 1924, pp.7.

[46]. كمثال على ذلك، حركة أحمد أخ سلام الذي قادها على قبيلة غمارة، حيث أعلن عن نجاح الحركة الريفية، لكنه قدم طلبات جديدة للتعزيزات والإعانات، إذ فرضت القبيلة للمحاربين 50 طلقة لكل قرية ونصف دورو منحت لسلام، ولكن الرجال الذين عادوا من الحركة اشتكوا من أنهم يعانون من الجوع، وبدأ بعض السخط على الفور في القبيلة. انظر

– AM. RMP, mars 1924, p.6.

[47] –Ibid, février 1924, p.7.

[48] – AM. RMP, mai 1924, p.14.

[49] – Ibid, juin 1924, p.8.

[50] – Ibid, juillet 1924, p.8.

[51] – Ibid, août 1924, p.3.

[52] – Ibid, février 1925, p.4.

[53] – Ibid, avril 1925, p.3.

[54]. البكاري، **الإشارة**، م، س، ط2، ص: 105.

[55] – AM. RMP, avril 1925, p.4.

[56] –Ibid, janvier 1923, p.20.

[57] – Ibid, avril 1925, p.3.

[58] – Ibid, mars 1925, p.1.

[59] – Idem.

[60] – AMG3H700. Ouezzan, le 7 avril 1927. « **Rapport sur les résultats de l'opération militaire à Béni Marchoud** », du colonel Huot commandant le territoire d'Ouezzan.

[61] – AMG3H700. Zoumi, le 19 septembre 1927. « **Rapport sur les résultats de l'affaire du 13 mars 1927** », du lieutenant-colonel Fabré commandant le cercle de Zoumi au colonel commandant le territoire d'Ouezzan.

[62] . البكاري، **الإشارة**، م، س، ط2، ص: 115.

[63] . المسياح أحمد، **قبيلة بني مسارة: علاقتها بالمخزن ومقاومتها للاحتلال الفرنسي خلال القرنين 19 و20**، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، إشراف الأستاذ علال الخديمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، السنة الجامعية 1991. 1992، ص: 38.

[64] . البكاري، **الإشارة**، م، س، ط2، صص: 135 . 151.

[65] . نفسه، ص: 103.

[66] . نفسه، ص: 103.

[67] . أولاد جنون: إحدى فرق بني مسارة التسع وهم أشراف أدارسة استوطنوا القبيلة منذ العهد السعدي.

[68] . زودنا بهذه الأبيات السيد محمد الجحري المعروف ببل الحساين.

[69] . شهادة العديد من الشيوخ من أهمهم الخمار ولد منانة (العمراوي) وغيرهم.

[70]. شهادة السيد عبد المالك دركال.

[71]. المسياح، م، س، ص: 34.

[72]. شهادة السيد الخمار ولد منانة العمراوي.

[73]. شهادة السيد محمد الجحري.

[74]. شهادة خال والدي السيد القيري الشريف نقلا عن أبيه وإخوته الكبار محمد وأحمد.

[75] -AMG3H599. Fès, le 14 juillet 1925. « Confirmation du message téléphone », du général commandant le front nord au général commandant le secteur ouest.